﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ٦٢﴾ [الفرقان: 62]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

اسْتِكْمالُ تَعْدادِ نِعَمِ اللهِ تَعالى عَلى العِبادِ في الكَوْنِ والزَّمَنِ والحَياةِ

لَمّا ذكَر اللّهُ تَعالى الشَّمسَ والقَمَر، في قولِه سُبْحانَه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا﴾؛ أَعْقَبَهُ بِبَيانِ ما هُما آيَتاهُ، وما يُعَدّانِ ظَرْفَيْن لَهُما، فقالَ ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿خِلۡفَةً﴾: (خلف) أصلٌ تَدورُ تَصْريفاتُه عَلى مَعانٍ، مِنْها: مجيءُ شَيْءٍ بعدَ آخرَ يقومُ مَقامَهُ، ومِنْهُ: الخلَفُ - بالتَّحريكِ - تقولُ العَرَبُ: فلانٌ خَلَفُ صدقٍ مِنْ أبيهِ، أو خلَف سَوْءٍ مِنْ أبيهِ، فإن لم يُقَيَّدْ بالصِّدْقِ أو بالسَّوءِ؛ اسْتَعْمَلوا الخَلَفَ بالتَّحريكِ في الخيرِ، والخلْف - بالسُّكونِ - للرَّديءِ، ومنهُ قولُه سُبْحانَه: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ﴾ [الأعراف: 169][2]، ويقال: خلف فلانٌ فلانًا؛ إذا كان خليفَتَهُ، يقال: خلفَهُ في قومِهِ خِلافَةً، ومنهُ قولهُ تَعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِى فِى قَوۡمِى﴾ [الأعراف: 142]، وخلفته أيضًا؛ إذا جِئْتَ بعدَه[3]، والخِلْفَةُ أَن يَخْلُف كلُّ واحِدٍ الآخَرَ، ومِنْهُ قولُ اللّهِ ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً﴾[4].

2) ﴿يَذَّكَّرَ﴾: (ذكر) أصلٌ تدُلُّ اشْتِقاقاتُه على قوَّة الشَّيء وصلابَة مادَّته، بحَيْثُ يكونُ نافِذًا، ومِنْهُ الذَّكَر، وهو مقابلُ الأُنْثى؛

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 418.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خلف).
(3) الجوهريّ، تاج اللّغة وصحاح العربيّة: (خلف).
(4) أبو حيّان، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: (خلف).

سُمّي بذَلِكَ لكونِهِ أصلبَ وأَخْشَنَ منها، ومنهُ الذِّكْرُ باللِّسانِ؛ لأنَّ ذِكْرَ الشَّيْءِ بالصَّوت وجودٌ قويٌّ لَهُ، يَتْبَعُه وجودُه في الأَسْماعِ والقُلوبِ، والذِّكْر: حِفْظُ الشَّيء، وهو ضِدُّ النِّسْيانِ؛ لكَوْنِ ذِكْرِ الشَّيء بقاءً قويًّا واضِحًا في الذِّهْنِ[1]، و﴿يَذَّكَّرَ﴾ أصلُه: يَتَذَكَّر، فأُدْغِمَت التّاء في الذّال، والتَّذَكُّر: تفَعُّلٌ مِنَ الذِّكْرِ، والمُراد في الآيَةِ: التَّأَمُّل في أدلَّةِ الدّين، أو اسْتِحْضارُ ما نُسِيَ في وقتٍ سابقٍ[2].

3) ﴿شُكُورًا﴾: (شكر) تدور اشتقاقاتُها حول امتلاءِ جوفِ الشَّيء برَخْوٍ طيِّب وظُهورِه عليه، ولو كانَ رافِدُهُ قليلًا[3]، حسّيًّا كان ذلك أو معنويًّا، فمِنَ الحسيِّ قولهم: شاةٌ شَكْرَى، وهي ممتلئَةُ الضَّرع لَبَنًا[4]، ودابَّة شكور، وهي الَّتي يكفيها قليلُ العَلَفِ، فتَسْمَنُ عليه، وتَصْلُحُ[5]، ومِنَ المعنويِّ: الشُّكْر، وهو عِرفانُ الإحْسانِ ونَشْرُه[6]؛ "إذْ هو تعبيرٌ عَنِ امتلاء النَّفْسِ ورِضاها، بِما قُدِّم لَها مِن خَيْرٍ، ونُجوع هذا الخيرِ فيها"[7]، وحقيقة الشُّكْرِ شَرْعًا: ظُهورُ أثَرِ نِعْمَةِ اللهِ سُبحانَهُ على لِسانِ عَبْدِه: ثَناءً واعْترافًا، وعَلى قَلْبِهِ: شُهودًا ومحَبَّة، وعَلى جَوارِحِه: طاعةً وانْقيادًا[8].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الاعْتِبارُ بِتَعاقُبِ اللَّيْلِ والنَّهارِ

وهو الَّذي جَعَلَ اللَّيْلَ والنَّهار مُتَعاقِبَيْن، يَخْلُف أحدُهُما الآخَر لِمَن أرادَ أن يَعْتَبِر بِما في ذلكَ إيمانًا بالمدبِّر الخالِق، أو أرادَ أن يَشْكُرَ للهِ سُبحانَهُ على نِعَمِه وآلائِه[9]؛ "إذْ لَو كانَ الدَّهرُ كلُّهُ ليلًا؛

(1) محمّد حسن جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ذكر).
(2) الواحديّ، التّفسير البسيط: 16/ 570.
(3) محمّد حسن جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (شكر).
(4) نشوان الحِميريّ، شمس العلوم: (شكر).
(5) الزَّمخشريّ، أساس البلاغة: (شكر).
(6) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (شكر).
(7) محمّد حسن جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (شكر).
(8) ابن القيّم، مدارج السَّالكين: 2/ 234.
(9) نخبة من أساتذة التفسير، التَّفسير الميسر، ص: 365.

لبطَلتِ المعايش والتَّصرُّف فيها ... ولو كان الدَّهر كلُّه نهارًا؛ لبطلت الأجسادُ عند عدم الرّاحة، فجعل كلَّ واحد يخلف الآخرَ"[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ وصْلِ الآيَةِ بِما قَبْلَها:

بَـيـانُ أَفْـرادِ المَخلوقاتِ الدّالَّةِ عَـلى عَـظَـمَـةِ الخالق سُبْحانَهُ

وُصِلَت هذِهِ الآيَةُ بِما قَبْلَها، وهي ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾؛ لاشْتِراكِهما في الخَبَريَّة، ولِما بَيْنَهُما مِنَ المُناسَبَة في المَعْنى؛ إذْ كِلاهُما بيانٌ لأفرادِ خَلْقِ اللّه تَعالى الدّالِّ على عَظَمَتِه، وحسَّن هذا الوصْلَ اشْتِراكُهُما في التَّعْبير بالمَوْصولِ وصِلَتِهِ ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾، واتِّحاد الفاعِلِ في فِعْلِ الجَعْلِ ﴿جَعَلَ﴾، فكانَ بَيْنَ الجُملَتَيْنِ توسُّطٌ بينَ الكَمالَيْنِ.

بَلاغَةُ القَصْرِ في عبارة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾:

انْفِرادُ اللهِ تَعالى بِتَدْبيرِ أَمرِ اللَّيْلِ والنَّهارِ

في قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أسلوبُ قَصْرٍ، وطريقُهُ: تَعْريفُ جُزْأَيِ الجُملةِ؛ إذِ المُبْتَدَأُ (هو) ضميرٌ، وهو مَعْرِفَةٌ، والخبَرُ ﴿ٱلَّذِى﴾ وهو مِنْ جُملَةِ المَعارِف أيضًا، وهذا القَصْرُ حقيقيٌّ تحقيقيٌّ[2]؛ إذْ لَم يُصيّر اللَّيْلَ والنَّهار كذلِكَ إلّا اللّهُ سُبْحانَهُ.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالمَوْصولِ وصِلَتِهِ:

إِقْـرارٌ بَـني آدَمَ غَـيْرِ المُكابِريـنَ بِتَدْبيرِ الدَّهْرِ مِنَ اللهِ القَويِّ المَتينِ

عُبِّر بالمَوْصولِ وصِلَتِه، في قولِ اللّه سُبْحانَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾؛ لأنَّ من شَأْنِ الصِّلة أن تكونَ مَعْلومةً، ففي ذلك إيماءٌ إلى أنَّ ما تَضَمَّنَتْهُ الصِّلَةُ في هذه الآيةِ، ثابتٌ في نَفْسِ الأمرِ، وعِنْدَ أهلِ الإيمانِ، وعِنْدَ أهلِ الكُفْرِ أيضًا إذا لَم يُكابِروا، ومعلوم أنَّ تسيير الكَوْنِ بتلك الدِّقَّة العجيبةِ لا يَقْدِرُ عليها إلّا ربُّ الوجود الخالق لكلِّ موجودٍ، وهو الَّذي عبَّر عن نفسه ببيان قُدْرَتِه على

(1) مكّي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 8/ 5259.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 65.

كونه، فقال: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧﴾ [الرّحمن: 5 - 7].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ الماضي ﴿جَعَلَ﴾:

تَحَقُّقُ خَلْقِ اللهِ تَعالى وثُبوتُهُ

جاءَ البيانُ القرآنيُّ بالتَّعبيرِ بالفِعْلِ الماضي ﴿جَعَلَ﴾ في قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ﴾ للدَّلالَةِ عَلى تَحَقُّق هذا الجَعْلِ وثُبوتِه، وهذهِ قضيَّة تُدْرَكُ بالعقل والتَّأمُّل في حركة الزَّمن وفي الدَّهر، ولونه المختلف سوادًا وبَياضًا، في صُبْحِه ومسائِهِ، ونورِهِ وظَلْمائِه، فكان جَعْلُهُ خِلْفَةً آيةً باهرةً ومعجزةً قاهرةً.

دِلالَةُ الطِّباقِ بَيْنَ لفظَي اللَّيْلِ والنَّهارِ:

تَكاثُرُ الأَدِلَّةِ عَلى صِحَّةِ الدّينِ الحَقِّ

في الجَمع بينَ اللَّيل والنَّهار في قولِ اللّه سُبْحانَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ﴾ قَصْدٌ لاسْتيعابِ الأَزْمِنَةِ كلِّها، وأنَّ الأدلَّة على الدّينِ الحقِّ، تَشْمَلُ الزَّمانَ كُلَّهُ، واستدراكَ ما فاتَ مِنَ الأَعْمالِ مُتَّسِعٌ زمانُه.

دِلالَةُ اخْتيارِ صيغَةِ (فِعْلَة) في الخِلفة:

الإشارَةُ إلى ما في اخْتِلافِ اللَّيْلِ والنَّهارِ مِنَ الآياتِ والآلاءِ

اخْتيرَ لَفْظُ ﴿خِلۡفَةٗ﴾، وهو على وزْنِ (فِعْلَة) مِن قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ﴾ لِدِلالَتِه عَلى الهَيْئَة، فيَكونُ ذَلِكَ مُنَبِّهًا عَلى هَيْئَةِ هَذا الاخْتِلافِ بالطّولِ والقِصَرِ المُخْتَلِفَيْنِ في جِهاتِ الأَرْضِ، وذلكَ مُنَبِّهٌ على أَسْبابِ هَذا الاخْتِلافِ مِن وضْعِ جِرْمَيِ الأرضِ والشَّمس، وهذا كُلُّه مِن آياتِ اللّهِ سُبْحانَه الدّالَّة عليه، وبتِلْكَ الهَيْئَةِ مِنَ الاخْتِلافِ تَقْديرًا وتَنْظيمًا عَظُمَت المِنَّةُ عَلى الخَلْقِ وشَمِلَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، فكانَ في لَفْظِ ﴿خِلۡفَةٗ﴾ تنبيهٌ عَلى ما في اخْتِلافِ اللَّيْلِ والنَّهار مِن آياتٍ دالَّةٍ، ونِعَمٍ عامَّة[1].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 65.

مَعْنى اللّامِ في ﴿لِّمَنْ﴾ ودِلالَتُها:

اخْـتِـلافُ اللَّـيْـلِ والـنَّـهـارِ نـافِـعٌ لِإرادَةِ الـتَّـذَكُّـرِ والشُّكْرِ

اللّامُ في ﴿لِّمَنْ﴾ مِن قولِ اللّه سُبْحانَهُ: ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ متعلِّقَةٌ بالفِعْلِ ﴿جَعَلَ﴾، مِن قولِه تَعالى قَبْلُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾، وهيَ لامُ التَّعْليلِ، وذَلِكَ مُفيدٌ أنَّ هذا الجَعْلَ نافِعٌ مَن أرادَ التَّذَكُّر، أو أرادَ الشُّكْرَ[1].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ ﴿يَذَّكَّرَ﴾ مُدْغَمًا:

الإيـمـاءُ إلى حُـصـولِ الـتَّـذَكُّـرِ ولَـوْ في أَقَـلِّ صوَرِهِ

عُبِّر بفِعْلِ التَّذَكُّر ﴿يَذَّكَّرَ﴾ مُدْغَمًا مِن قولِ اللّه ﷻ: ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ للإيماءِ إلى حُصولِ التَّذَكُّر، ولَو في أَدْنى وُجوهِه وصوَرِه[2].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿يَذَّكَّرَ﴾:

اسْـتيلاءُ الـغَـفْـلَـةِ عَـلى بَـنـي آدَمَ طَـبْـعٌ غـالِـبٌ لا فَكاكَ لَهُم مِنْهُ

عُبِّر بالفِعْلِ المُضارِع ﴿يَذَّكَّرَ﴾ من قولِ اللّه ﷻ: ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ لإفادةِ الحُدوثِ والتَّجَدُّد الاستمراريِّ؛ وذَلِكَ لِكَوْنِ الغَفْلَةِ مُسْتَوْليَةً على بَني آدمَ، وفي الآياتِ المَرْئيَّة كاللَّيْلِ والنَّهار تَذْكيرٌ لَهُ وتَجْديدٌ لِهَذا التَّذَكُّر[3]، ففي الآيَةِ تَذْكيرٌ بليغٌ لنِعْمَتِه، وتنبيهٌ جليلٌ عَلى كمالِ حِكْمَتِه وسموِّ قُدْرَتِه، لِمَنْ أَرادَ أن يتذكَّر آلاءَ اللّهِ تَعالى البديعَةَ، ويتفكَّر في صِناعَتِهِ الرَّفيعة، فيعلم بيَقينٍ لا يُخالِطُهُ رَيْبٌ، وصفاءٌ لا يُمازِجُه شَوْبٌ، وعلم لا تَجْتالُهُ الظّنونُ، وفَهْمٌ لا تُخالِطُه الفتون: أَنَّه لا بدَّ للكونِ العجيبِ والخَلْقِ المدهشِ الغَريبِ من صانعٍ حكيمٍ وخالقٍ عظيمٍ، رحيمٍ بالمخلوقاتِ، وإليه يكونُ المعادُ، ولُطْفُه يَغْمر جميعَ العبادِ[4].

تَوْجيهُ القِراءاتِ في ﴿يَذَّكَّرَ﴾ و(يَذْكُرَ):

التَّكامُلُ الدّلاليُّ لِـلـقِـراءاتِ القُرْآنيَّةِ

قَرَأَ حَمزَةُ وخلَفٌ العاشِرُ ﴿يَذْكُرَ﴾، مِن قولِ اللّه تَعالى: ﴿لِّمَنْ

(1) ابن باديس، مجالس التّذكير، ص: 190.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 418.
(3) ابن باديس، مجالس التّذكير، ص: 190.
(4) إسماعيل حقّي، روح البيان: 6/ 238.

﴿أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾، بِسُكونِ الذّالِ وضَمِّ الكافِ مُخَفَّفًا، وقرأَ الباقونَ بالإدْغامِ ﴿يَذَّكَّرَ﴾[1]، وقد ذَكَر الفَرّاء أنَّ (يَذْكُرَ) و(يَتَذَكَّرَ) - ومِنْهُ فرْعُ هذه الصّيغَةِ: يَذَكَّرَ - يَرِدانِ بمعنًى واحدٍ، واستشهَدَ له بقولِ اللّه تَعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [البقرة: 63]، وقرأها ابنُ مَسْعودٍ: (وتَذَكَّروا ما فيهِ)[2].

وأمّا في آيةِ الفُرْقانِ؛ فالتَّشديدُ ﴿يَذَّكَّرَ﴾ بمعنى: يَتَذَكَّر، والتَّذَكُّر: التَّفَكُّر، وذلك ليُدْرِك العِلْمَ بِقُدْرَتِه، ويَسْتَدِلَّ بموضِعِ النِّعمة وإتقان الصَّنعة على توحيدِ اللّه تعالى.

وأمّا التَّخفيف ﴿يَذْكُرَ﴾؛ فهو ما يُقابِل النِّسْيان، والمَعْنى: أن يَذْكُرَ ما نَسيَهُ في اللَّيل، فيستدرِكَهُ نَهارًا، أو يَذْكُرَ ما نَسيَهُ في النَّهار، فيستدركَهُ ليلًا[3].

دلالةُ الأداة ﴿أَوْ﴾ في السّياق:

اسْتِقْلالُ كُلٍّ مِنَ التَّذَكُّرِ والشُّكْرِ بِالإرادَةِ

﴿أَوْ﴾ في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ يُرادُ بِها التَّنْويعُ، عَلى مَعْنى الاشْتِمالِ على هَذَيْنِ المَعْنَيَيْن، ويجوزُ أَن تكونَ للتَّخْييرِ، عَلى مَعْنى الاسْتِقْلالِ بِكُلِّ واحدٍ مِنْهُما، مِن غَيْرِ مَنْعٍ من الاجتماعِ، وفائدَةُ هَذا الأُسْلوبِ: الدِّلالَةُ عَلى الاسْتِقْلالِ؛ إذْ لَو ذُكِرَت الواوُ بدلًا مِن ﴿أَوْ﴾؛ لَتوُهِّمَ معنى المعيَّةِ[4].

سِرُّ عَدَمِ تَكْرارِ المَوْصولِ (مَنْ):

تَأَتِّي الجَمعِ بَيْنَ التَّذَكُّرِ والشُّكْرِ

كُرِّر فعلُ الإرادَةِ في التَّذكُّر والشُّكر مِن قولِ اللّه تَعالى: ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ لأنَّ الإرادَة لا بُدَّ منْها معَهُما، ولم يُكرَّر الاسمُ المَوْصول (مَنْ)، فلَم يَرِدِ النَّظْمُ القُرآنيُّ: (لِمَن أرادَ أن

(1) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 334.
(2) الفرّاء، معاني القرآن: 2/ 271.
(3) الواحديّ، التّفسير البسيط: 16/ 570.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 42.

يَذَّكَّر، أو لِمَن أرادَ شُكورًا)؛ لأنَّ الشَّخْصَ الواحِدَ يَجوزُ أن يَتَّصِف بالصِّفَتَيْنِ معًا، ولو كُرِّر المَوْصولُ؛ لَتُوُهِّم استقلالُهُما اسْتِقْلالًا تامًّا، بحيثُ لا يَتَأَتّى الجَمعُ بَيْنَهُما مُطْلَقًا[1].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِصيغَةِ ﴿شُكُورًا﴾:

كَـثْرَةُ نِعَـمِ اللهِ تَـعـالى وجَـلالَـةُ قَـدْرِها تَسْتَلْزِمُ ذِكْـــرَ الـنِّـعَـمِ وشُكْرَها

لفظ ﴿شُكُورًا﴾ مِن قولِ اللّه تَعالى: ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ مَصْدَرٌ بِمَعْنى الشُّكْر، وهو أَبْلَغُ مِنْهُ؛ لكَوْنِه أكثرَ حروفًا، والزِّيادة في المَبْنى تدُلُّ على الزِّيادة في المَعْنى غالِبًا، والمَعْنى: أو أرادَ شُكْرًا بليغًا عظيمًا، وذلكَ أنسَبُ لِكَثْرَةِ نِعَمِ اللّهِ سُبْحانَه وجلالة قَدْرِها[2].

نُكْتَةُ المُغايَرَةِ بَيْنَ ﴿أَن يَذَّكَّرَ﴾ و﴿شُكُورًا﴾:

الـعِـنـايَـةُ بِـأَمـرِ التَّذَكُّرِ والتَّفَكُّرِ ضَـمـانٌ لِـلشُّكْرِ قَوْلًا وفِعْلًا

في التَّعْبيرِ أوَّلًا بالمَصْدَرِ المُؤَوَّل ﴿أَن يَذَّكَّرَ﴾، دون المَصْدَرِ الصَّريح - كما في المَوْضِعِ الثّاني ﴿شُكُورًا﴾، مع أنَّ التَّعبيرَ بالمَصْدَرِ الصَّريح أخصرُ بأن يَرِدَ النَّظْمُ القُرآنيُّ: (لِمَن أرادَ تَذَكُّرًا) - للإيماءِ إلى مزيدِ الاعْتِناءِ بأَمرِ التَّذَكُّر والتَّفَكُّر[3]، وفي التَّصريح بالمصدرِ ﴿شُكُورًا﴾ تناسُبٌ لِرُؤوسِ الآي[4].

نُكْتَةُ الجَمعِ بَيْنَ الإرادَةِ والتَّذَكُّرِ والشُّكْرِ:

حَـيـاةُ الإنْـسـانِ مَـبْـنـيَّـةٌ عَـلى الإرادَةِ والفِكْرِ والعَمَلِ

ذُكِر في قولِ اللّه تَعالى: ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾، الإرادَةُ والتَّذَكُّر والشُّكْرُ؛ وذلكَ لأنَّ حياةَ الإنسانِ من أوَّلِها إلى آخرِها مَبْنيَّةٌ على أركانٍ ثلاثةٍ هي: الإرادةُ، والفِكْرُ، والعمَلُ، وهي المذكوراتُ في الآية؛ إذِ التَّذَكُّر يكونُ بالتَّفَكُّر، والشُّكر يحصُلُ بالعَمَلِ.

ثُمَّ إنَّ هذه الثَّلاثَة متوقِّفة على ثلاثةٍ أُخرى - لا بُدَّ للإنسانِ مِنْها - فالعمَلُ يتوقَّف على البدَنِ، والفِكْرُ يتوقَّف على العَقْلِ، والإرادةُ

(1) ابن باديس، مجالس التّذكير، ص: 190.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 419.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 42.
(4) ابن باديس، مجالس التّذكير، ص: 190.

تتوقَّف على الخُلُق، فالتَّفكيرُ الصَّحيح مِنَ العَقْلِ الصَّحيح، والعملُ المُفيدُ مِنَ البدَنِ السَّليم، والإرادةُ القويَّة مِنَ الخُلُقِ القَويم، ولذا كانَ الإنسانُ مأمورًا بالحِفاظِ عَلى هذهِ الكُلّيّاتِ الثَّلاثة: العقلِ والبدَنِ والخُلُق، فكانَت هذهِ الآيةُ جامِعَةً لأصولِ الحَياة السَّعيدة[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الشُّكْر والحَمد:

الحَمدُ أَعَمُّ مِنَ الشُّكْرِ مُتَعَلِّقًا وأَخَصُّ مِنْهُ آلَةً

الحَمدُ هو الشُّكْرُ عند الأَخْفَشِ وجماعةٍ[2]، وفيه نَظَرٌ، بل بينَهُما فرقٌ.

وذهَب الخطابيُّ إلى أنَّ الشُّكرَ أعمُّ مُطْلقًا مِنَ الحمد، فقال: "الحمد نوعٌ، والشُّكر جِنْس، فكلُّ حَمدٍ شُكْرٌ، وليس كُلُّ شُكْرٍ حمدًا"[3]، وعكَسَ الجَوْهَريُّ ذلك؛ فجعل الحَمدَ أعمَّ مُطلقًا مِنَ الشُّكر[4].

والصَّوابُ أنَّ بين الحمدِ والشُّكْرِ عمومًا وخصوصًا وجْهيًّا، فالحمد أعمُّ مُتَعَلِّقًا وأخصُّ آلةً، والشُّكْرُ: أخصُّ مُتَعَلِّقًا وأعمُّ آلةً؛ وذلك أنَّ الحَمدَ يكون في مقابِلِ النِّعمةِ ويكون ابتداءً، قال الأزهريُّ: "الحمدُ قَدْ يكون شُكْرًا للصَّنيعة، ويكون ابْتِداءً للثَّناء عَلى الرَّجُلِ"[5]، بل قد يُحَمدُ على المُصيبَةِ[6]، وذلك في حَمدِ اللّهِ تعالى؛ إذْ يكون على كلِّ حالٍ بخلاف الشُّكْر، فلا يكون إلّا في مُقابَلَةِ نِعْمَةٍ، قال في

(1) ابن باديس، مجالس التّذكير، ص: 191.

(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (حمد)، وذكر بِهرام الدَّميريّ في تحبير المختصر: 1/ 62: أنّه ظاهر قول سيبويه، وهو ظاهر كلام ابن جرير في جامع البيان: 1/ 138.

(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (حمد).

(4) الجوهريّ، تاج اللّغة وصحاح العربيّة: (حمد).

(5) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (حمد).

(6) كما جاء مِن حديث أبي موسى الأشعريِّ ﷺ أنَّ رسول اللهِ ﷺ قال: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ، قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقولونَ: نَعَمْ، فَيَقولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقولونَ: نَعَمْ، فَيَقولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقولونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقولُ اللَّهُ: ابْنوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمّوهُ بَيْتَ الحَمْد»، رواه الترمذي، الحديث رقم: (1021)، وهو حسن كما في صحيح الجامع الصَّغير، الحديث رقم: (795).

القاموس: "الشُّكْرُ - بالضَّمِّ -: عِرْفانُ الإِحْسانِ ونَشْرُه، ولا يَكونُ إلّا عن يَدٍ"[1]، فتَحَصَّل مِن هذا أنَّ الحَمدَ أعمُّ متعلِّقًا مِن الشُّكر.

أمّا الآلةُ؛ فالحَمدُ يكون باللِّسان والقلبِ دون الجوارح، بخلاف الشُّكْرِ، فإنَّه يكون بالقلب واللِّسان والجوارح، كما قال اللّهُ سُبْحانَه: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: 13]، فتقرَّر من هذا أَنَّ الشُّكْرَ أعمُّ مِنْ جهة الآلَةِ.

(1) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (شكر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 38 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-80-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 38 : المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-80-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»